أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيص فقال له: وأنت يا أبا جعفر فكأني بك وقد أنشدت قولك:

لا تنكري صدّي ولا إعراضي ليس المقل على الزمان براض

فقال له: لا ماهذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته، قالوا: فأنشدنا ما بدا لك، فأنشدهم قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكراك فليلمني اللوم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذا كان حظي منك حظي منهم

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً مامن يهون عليك ممن يكرم

فقال أبو نواس: أحسنت والله، وجودت، وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك، ثم لأغنك عليه فيشتهر ما أقول ويموت ماقلت.".

من الخبر السابق، تظهر لنا بوضوح وجلاء أهمية أبي الشيص وقيمته في بغداد، فهو شاعر الخليفة وصديق فحول الشعراء آنذاك كأبي نواس، وصريع الغواني، ودعبل، ولاشك أنه كان من طبقتهم ولا يقل عنهم، وكانت بغداد وحاناتها وبساتينها وأديرتها مرتعاً لهم ولعربدتهم وزندقتهم. ومجالي أفراحهم وسرورهم ولهوهم، ولكن يبدو أن الحال قد تبدلت بشاعرنا (أبي الشيص) فإذا حبه لبغداد يبدو في شعره كرهاً ونفوراً، فهو أحياناً يتذمر من كثرة براغيثها فيقول:

تطاول في بغداد ليلي ومن يبت ببغداد يلبث ليله غير راقد

بلادٌ إذا زال النهار تقافزت براغيثها مابين مثنى وواحد

ديازجة شهب البطون كأنها بغال بريد أرسلت في المذاود

أو يدعو عليها بالدمار والخراب وأن تعمر ديارها -لاقدر الله- بالعاويات